المبنوتسم وذهول الادياك

وعدنا المشتركين الكرام في ختام السنة الثامنة من المقتطف ان نفصّل لهم مباحث العلماء في حقيقة ذهول الادياك ونأتي على اقوالهم في تعليلها. الّا اننا لا نشرع في ذلك قبل بيان الباعث عليهِ وهو ما اتّهمنا بهِ كاتب مجلة الخَرَف من انّا لفّقنا خبر ذهول الادياك اذا أُوقفت على الورق طمعًا في خداع الناس واستلاب مالهم ولم نقل ان كاتب مجلّة الخَرَف اتّهمنا بذلك تبرّؤًا من تبعتهِ وانما قلناهُ بيانًا للحق اذ الارجح اننا لم نذكر هذه القضيّة في المقتطف لا صريحًا ولا ضمنيًا وان نسبتها الينا كاذبة ولو كانت في ذاتها صادقة كما سترى

هذا وقد طلب منا كاتب مجلّة الخَرَف بلسان ابن اخيهِ ان نفيدهُ من العلماء الذين اشتغلوا في هذه القضية فلم نجد لزومًا لاجابة هذا الطلب بعد ان اشتهر عن مجلّة الخَرَف من سوء الادب والمهاترة ما اشتهر. ولذلك لزمنا خطّة السكوت حتى طلب منا جماعة من مشتركينا الكرام بسط الكلام في هذا المعنى قصد الافادة لا الخام المتعنّتين فانبّئنا ما يأتي وفاء بالوعد واجابةً للطلب ذاكرين العلماء الذين اعتمدنا عليهم في هذه المقالة باسمائهم لزيادة التقرير

روى الاكثرون ان مكتشف قضية ذهول الادياك هو اثناسيوس كرخر وانهُ اشهرها سنة ١٦٤٦ مسميًا اياها التجربة العجيبة وهذا مفاد كلامهِ فيها: اربط ديكًا برجليهِ وضعهُ على الارض وثبّتهُ في مكانهِ كرهًا حتى يكف عن الحركة ثم الصق منقارهُ بالارض وخطّ من طرف المنقار خطًا ابيض مستقيمًا وحلّ رجليهِ فلا يفلت ولا يفر بل يلزم مكانهُ كأنهُ قد رُبط الى الارض ربطًا وثيقًا ويأبى الحركة ولو حثثتهُ عليها. وقال برير الفيسيولوجي السويسري الشهير ولا لزوم لهذا الخط فقد يحدث للديك بدونهِ ما يحدث بهِ اذا ثبت على الارض مدّة كافية. وقال ايضًا اني عثرتُ حديثًا على كتاب لدانيال شونتر ذكر فيهِ هذه التجربة وطبعهُ قبل ان طبع كرخر تجربتهُ بعشر سنوات[1]

(١) اننا قرأنا قضية ذهول الادياك منذ نحو عشرين سنة في رسالة للدكتور ميخائيل مشاقة ثم رأيناها مذكورة في كثير من الكتب كحقيقة مقرّرة. فلما قال مكاتب التقدم انهُ قرأها في المقتطف لم نرتب في قولهِ لاننا لا نتذكر كل ما كتبناهُ في سبع مجلدات كبيرة وكل ما لم نكتبهُ. ثم اقتضى لنا ان نراجع هذه القضية كما هي مذكورة في المقتطف فقلبنا صفحاتهِ مرتين ولم نعثر عليها وبلغنا ان كثيرين وفي جملتهم الذي نسبت كتابة التقدم اليهِ فتشوا عنها كثيرًا فلم يجدوا لها ذكرًا. ولهذا قلنا فوق انها صادقة في ذاتها ولو كانت نسبتها الينا كاذبة. هذا وقد اجرينا هذه التجربة مرارًا منذ بضع سنين الى الآن امام جماعات كثيرة وقد تبيّن لنا ان الادياك يعتريها الذهول ولو لم يرسم لها خط على الارض الّا ان ذهولها يكون قصير المدة ولا يحدث الا بعد تثبيتها مدة اطول من المعتادة

والظاهر ان العلماء قلما اعتنوا بالبحث عن ذهول الادياك بعد زمان كرخ حتى اعاد العلّامة جرمق فيه التجارب وصنّف مقالات شتّى سنة ١٨٧٣ و١٨٧٤ وجرّب في غير الدجاج كالحيوانات التي لا فقار لها فوجد ان الذهول يعتريها كما يعتري الدجاج فكان يلقي بعض انواع السرطان على ظهرها او يوقفها على رأسها فتقف كذلك غير متحرّكة كأنها ميتة . وزعم جرمق ان سبب ذلك شخوص الحيوان زمانًا الى شيء او الى الفضاء فيقع عليه سبات عميق ويعتريه الذهول . فعارضه العلّامة برير في زعمه هذا سنة ١٨٧٣ وحجّه بان الحيوان يذهل هذا الذهول ولو قطع عصباه البصريان او عصبت عيناه بالعصائب فلم يعد يرى الفضاء ولا الاشباح بشرط ان يوضع وضعًا غير وضعه الطبيعي ويثبت فيه مدّة . وقد جرّب برير هذا التجارب الكثيرة في الحيوانات فوجد ان الذهول يعتري حيوانات كثيرة مثل الضفادع البرّية والمائية والبط والدجاج والحجل والعصافير والفيران والارانب وغيرها من انواع الزحافات والطيور والقواضم والمجترّات وانه يعتري الخيل كما يشاهد من سكونها عند تعليقها في الهواء ونقلها من البر الى القوارب مع كثرة حركتها قبل ذلك وبعده وانه لا يعتري انواعًا أخرى . وقال انه يعتري الاولاد ايضًا كما يشاهد فيهم حين وقوعهم فجأةً فانهم يبهتون برهةً ثم يأخذون في البكاء وانهم انما يبهتون كذلك قبل البكاء لما يعتريهم من حال الذهول هذه . وقال الدكتور كِتْرمَن ان الاولاد (ليس الاطفال) الذين يصرخون كثيرًا قد يسكتون اذا قلبوا على بطونهم او اذا ضغطت وجوههم باليد ضغطًا لطيفًا لا يضيّق عليهم التنفس وسبب ذلك الذهول الذي يعتريهم

وذهب برير المذكور آنفًا ان سبب الذهول هذا هو خوف الحيوان عند وضعه وضعًا غير طبيعيّ فيبطل من الخوف سلطان ارادته عن اعضائه فيبقى في مكانه لا يستطيع حراكًا واستدلّ على ذلك بانقطاع حيل الحيوانات حين يحل بها الخوف الشديد وبجمود بعض صغار الطير عند رؤية الافاعي . وفي سنة ١٨٧٦ انتقد العلّامة هوبل ما ذهب اليه برير وذهب الى ان ذهول الحيوانات نومٌ كالنوم الطبيعي فردّ عليه برير سنة ١٨٧٨ وافاض في شرح مذهبه شرحًا مسهبًا لا محلّ له هنا لا سيما وان العلّامة رومانس الانكليزي قد دحض مذهبه على ما يظهر بايراد هذه التجربة وهي انه اذا قُطع راس ديك وقلب على ظهره وهو يثب ويخبط بالفعل المنعكس اعتراه الذهول فكفّ عن الحركة تمامًا . فلو كان الذهول يحصل من الخوف لما ذهل الديك بعد قطع رأسه وانتفاء خوفه . وزد على ذلك ان هذا الذهول مماثل لما يصيب البشر في النوم الصناعي المعروف بالمسمرسم والبشر ينامون كذلك بلا خوف وهو دليل على ان الخوف ليس علّة الذهول هذا وقد ثبت بالتجربة ان الذهول لا يعتري الحيوانات الّا اذا عُلّقت في الهواء او وُضعت

وضعًا غير طبيعي ومهما كان السبب في ذلك فلا يبعد ان قوة الارادة فيه تبطل فلا يعود لمراكزها العصبية سلطان على ما دونها من المراكز العصبية . ويؤيد هذا ان الحيوانات المولودة حديثًا لا تذهل لان مراكزها الارادية لا يكون سلطانها قد انتظم على ما دونها من المراكز . فتأثر مراكز الارادة فيها لا يفضي الى ما يفضي اليه تأثرها في الحيوانات الكبيرة السن

اما مدة ذهول الحيوانات فمتفاوتة فالضفادع لا ينفك عنها الذهول اذا عُلّقت في الهواء حتى تموت والارانب قد تذهل اثنتي عشرة دقيقة والدجاج اكثر من ذلك . وتطال مدة الذهول الى ما شاء الله بمراقبة الحيوان ومنعه عن الحركة حال استيقاظه فيعود الى حاله الاولى . واما تأثير هذه الحال فمختلف ايضًا فانها قد تميت ذوات الدم البارد كما تقدّم عن موت الضفادع ويصيب ذوات الثدي منها ارتجاف شديد في الاطراف وتتكسر منها الجفون وتضطرب الاحناك والاحداق ويبطل انتظام النبض والتنفس وتصفرّ آذان الارانب وتروث وتبول ثم تعود الى ما كانت عليه من الصحة والنشاط قبل الذهول

وقد جمع العلماء ذهول البشر والحيوانات على اختلاف مظاهره واحوالهِ تحت اسم واحد هو الهبنوتسم لخفاء حالهِ وغرابة مظاهره وشدّة علاقته بحالَي الصحة والمرض حتى كثيرون من العلماء في البحث عن حقيقته وادّعى جماعة انه يحل كثيرًا من المعجزات ويكشف الغوامض ولذلك التفت اليه مشاهير العلماء وجادل فيه جماعة من كبار اللاهوتيين

فثبت معنا مما تقدّم ثلث قضايا واضحة الاولى ان ذهول الادياك حقيقة مقرّرة لا ينكرها الّا الجاهل المجازف في التقرير والانكار

والثانية ان ذهول الحيوانات يحصل اثر وضعها وضعًا غير طبيعيّ او تعليقها في الهواء . ولا يحصر ذلك في خط الخطوط البيضاء على الارض السوداء . فان كان الذهول يعتري الديك بإلقائهِ على الارض سكرهًا فانهُ يمكن ان يعتريهُ واقفًا كذلك على الورق . اذ السرّ في الوضع الاعتصابي لا في غيرهِ

والثالثة ان ذهول الادياك بحث قد اشتغل فيهِ كثيرون من كبار العلماء ومشاهير الفيسيولوجيين واضطرّ جماعة من اللاهوتيين ان يبحثوا عن كنهه لدفع ما اعترض به عليهم . وفي هذا القدر كفاية لاظهار درجة المقتطف من درجة المدّعين تخطئته والمتطاولين عليه

قال الطبيب : الحذر من عشير السوء فانهُ ان صحب الاخيار كان لهم مضرّة وان صحب الاشرار لم يأمنوا شرّهُ فمثلهُ مثل العود الاعوج ان قرنتهُ بالمقوّم لم يوافقهُ وان قرنتهُ بالاعوج لم يطابقهُ